المكتبة الظاهرية

مخطوطة

بيان المحجة في سير الدلجة

المؤلف

عبدالرحمن بن أحمد بن رجب (ابن رجب)

شبكة الألوكة
www.alukah.net

بين التكليم الذي حصل لموسى وبين الايحاء المشترك وموسى سمع كلام الله والله بلا واسطة
كما قال تعالى فاستمع لما يوحى انني انا الله لا اله الا انا والرسول اذا بلغ عن الناس وبلغ
الناس عنه كان مسموعا سماعا مقيدا بواسطة المبلغ كما قال تعالى وان احد من المشركين
استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله فهو مسموع مبلغا عند بواسطة المخلوق بخلاف
سماع موسى صلى الله عليه وسلم واذا كان العبد يسمع كلام الرسول من المبلغين عنه وليس ذلك
كسماعه منه فكلام الله اعظم ولهذا اتفق سلف الامة وائمتها على ان القرآن الذي يقرأه المسلمون
كلام الله تعالى وكما يقال احد منهم ان اصوات العباد والمداد والمصاحف قديم مع
اتفاقهم على ان المثبت بين لوحي المصحف كلام الله وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم زينوا
القرآن باصواتكم فالكلام الذي يقرأه المسلمون كلام الله والاصوات التي يقرأون بها
اصواتهم والله اعلم اخر ما ذكره شيخ الاسلام رحمه الله والحمد لله رب العالمين وصلى الله على خير خلقه
محمد وآله وصحبه اجمعين

قال الشيخ الامام العلامة الفقيه الزاهد العابد الورع
الناسك قدوة السالكين وبركة الانام ذو الفضل والصلاح
والورع والتقوى والزهد والعبادة والعلم والحلم
ابو عبد الله محمد بن ابي بكر بن ايوب بن سعد الزرعي
رحمه الله ورضي عنه وعن والديه وجزاه عنا
وعن المسلمين افضل ما جزى عالما عاملا ناصحا
لله ولرسوله ولكتابه ولعباده آمين

من شعر الشافعي رحمه الله تعالى

كل العلوم سوى القرآن مشغلة ... الا الحديث والا الفقه في الدين
العلم ما كان فيه قال حدثنا ... وما سوى ذاك وسواس الشياطين
وايضا
ومن لزم الفقيه صار سعيدا ... ومن لزم السفيه صار سفيها
وهذا افضل ما قرب هذا

سئل الشافعي رحمه الله عن القدر فقال ما شاء ... فهذا ازهد في قرب هذا
ما شئت كان وان لم اشاء ... وما شئت ان لم تشأ لم يكن
خلقت العباد على ما علمت ... ففي العلم يجري الفتى والمسن
على ذا مننت وذا اخذلت ... وهذا اعنيت وذا لم تعن
فمنهم شقي وغال سعيد ... ومنهم قبيح ومنهم حسن

وهل حط قدر البدر عند طلوعه ... اذا ما انكر الكل ضوءه فاستنار
وهل بصر البحران قام احمق ... على شط بحر من اليد يحقره
وهل عاب التنقيد قوم لعقولهم ... وما عليه اذ عاب قوم وان ضرر
ما ضر شمس الضحى والشمس طالعة ... ان لا يرى ضوءها من ليس ذا بصر
ومن ذا الذي يحيى الى الناس سالما ... وللناس فيما يعشقون مذاهب

انا حبلا ما نل حد تهم ... الباء حامية نون غيا
نعد وفيا ضمام ظريف لحمة ... ولا شيء منهم

لن يدخل احد الجنة بعمله بالمقابلة والمعاوضة والمقدر لن يستحق احد دخول الجنة بعمل بعمله
فازال بذلك توهم من يتوهم ان الجنة من الاعمال وان صاحب العمل يستحق على الله دخول الجنة كما يستحق
من دفع ثمن سلعة الى صاحبها تسليم سلعته اليه فنفى بذلك هذا التوهم وبين ان العمل وان كان
سببا لدخول الجنة فانما هو من فضل الله ورحمته فصار الدخول مضافا الى فضل الله ورحمته ومغفرته
لانه هو المتفضل بالسبب والمسبب المرتب عليه ولم يسق الادخول مرتبا على العمل نفسه وفي الصحيح النبي
صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل يقول للجنة انت رحمتي ارحم بك من اشاء من عبادي

ما للعباد عليه حق واجب كلا ولا سعي لديه ضايع
ان عذبوا فبعدله او نعموا ففضله وهو الكريم الواسع

قال وقيل فقد روى حبيب بن الشهيد عن الحسن كل الحمد لله ثمن كل نعمة ولا اله الا الله ثمن الجنة وروى
هذا المعنى مرفوعا من حديث انس وابي ذر وغيرهما وان كان في اسانيدها ضعف ويشهد لذلك
قوله عز وجل ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة الآية فجعل الجنة ثمنا للنفوس والاموال
الجواب ان الله سبحانه وتعالى بفضله ورحمته وكرمه ومنه وطوله خاطب عباده بما نهم اليه مرطاعته
على حسب ما يتعارفونه بينهم بتصرفاتهم المعهودة المألوفة لهم وجعل نفسه مشتريا منهم ومستقرضا وجعلهم
بايعين له ومقرضين ليكون ذلك ادعى الى امتثالهم لدعوته ومبادرتهم الى طاعته والافمن الحقيقة
الكل له وملكه ومن فضله واحسانه ورحمته فالنفوس والاموال كلها ملك له فالامر عنده كما
ان نقول انا لله وانا اليه راجعون ومع هذا فقد مدح من بذل نفسه وماله وجعله بايعا له و
مقرضا كالذي له ملك يبيعه ويقرضه لعين ممن انبله عليه كذلك الاعمال هي من فضله ورحمته
وقد مدح عليها ونبه الى عاملها وجعلها شكرا منهم لنعمه ومكافاة لها وقد روى ابن ماجه
من حديث انس مرفوعا ما انعم الله على عبد نعمة فقال الحمد لله الا كان ما اعطى افضل مما اخذ وقال
قال عمر بن عبد العزيز والحسن وغيرهما من السلف واستدل ذلك على ان شكر العالم قد يكون واجبا
على ما قررناه معناه ظاهر فان المراد بالنعم النعم الدنيوية والمراد النعم الدينية والنعم الدينية

افضل

افضل من النعم الدنيوية ولكن لما كان المراد منسوبا الى العبد لفعله له وقيامه به جعله الله
معطيا الاعظم النعمتين مكافيا بها النعمة الاخرى ولهذا جاء في الاثر الحمد لله نصف الميزان و
الشكر في مقابلته فبهذا الاعتبار يكون الحمد ثمنا للجنة وعند تحقيق النظر فالجنة والعمل كلاهما من
فضل الله ورحمته على عباده المؤمنين ولهذا يقول اهل الجنة عند دخولها الحمد لله الذي
هدانا لهذا لولا ان هدانا الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق فلما اعترفوا
لله بنعمته عليهم بالجنة وباسبابها من الهداية وحمدوا الله على ذلك كله حوزوا بان وفوا
ان تكلم الجنة او ثمنوها بما كنتم تعملون فاضيف العمل اليهم وشكروا عليه ونظير هذا
ما قاله بعض السلف ان العبد اذا اذنب ثم قال يا رب انت قضيت علي قال الله رب انت
اذنبت وانت عصيت قال العبد يارب انا اخطأت وانا اسأت وانا اذنبت
قال الله انا قضيت عليك وقدرت وانا اغفر لك ومما يتخرج به معنى قول النبي صلى
الله عليه وسلم لن يدخل احد الجنة بعمله اولن ينجي احدا عمله ان مضاعفة الحسنات انما
هي من فضل الله عز وجل واحسانه حيث جازى بالحسنة عشر امثالها ضاعفها الى
سبعمائة ضعف الى اضعاف كثيرة فهذا كله فضل منه ولو جازى بالحسنة مثلها
كان عدلا لم تقو الحسنات على احباط السيئات فكان عمل صاحب العمل الصالح كما
قال ابن مسعود في صفة الحسنات ان كان وليا لله فتفضل له مثقال ذرة فضاعفها
الله له حتى يدخله بها الجنة وان كان من عصاة قال الملك يا رب فنيت حسناته وبقي له
طالبون كثير قال خذ وا من سيئاتهم فاضيفوها الى سيئاته ثم صكوا له صكا الى النار
فتبين بهذا ان من اراد الله سعادته اضعف له حسناته حتى يستوفي منها الغرماء
ويبقى له منها مثقال ذرة فتضاعف له فيدخل بها الجنة وذلك من فضل الله ورحمته
ومن اراد الله شقاوته ونزوله غرماؤه تضاعف حسناتهم حتى تضاعف لمن اراد سعادته

الألوكة
www.alukah.net

بل يضاعفها عشرا فتقسم على الغرماء فيستوفون حقوقهم كلها ويبقى لهم مظالم فيطرح عليه من سيئاتهم
فيدخل بها النار فهذا عدله وذاك فضله ومن هنا قال يحيى بن معاذ اذا بسط فضله لم يبق
لخلقه بشئ واذا جاء عدله لم يبق لاحد حسنة وايضا فقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
من نوقش الحساب هلك وفي رواية عذب وفي رواية خصم وخرج ابو نعيم من حديث علي مرفوعا
اوحى الله الى نبي من انبيا بني اسرائيل قل لاهل طاعتي من امتك لا تتكلوا على اعمالكم فاني لو انا عدل
عبدي الحساب يوم القيمة اما انه اعذبه الا عذبه وقل لاهل معصيتي من امتك لا يقنطوا من رحمتي
فاني اغفر الذنب العظيم ولا ابالي وقال عبد العزيز بن ابي رواد اوحى الله الى داود عليه السلام
يا داود بشر المذنبين وانذر المصدقين فقال رجل عجب فقال يا رب ابشر المذنبين و
انذر الصادقين قال نعم بشر المذنبين انه لا يتعاظمني ذنب اغفره وانذر المصدقين
اني لا اضع عدلي وحسابي على عبد الا هلك قال ابن عيينة المنافسة سوء الاستقصاء حتى
لا يترك منه شيئا وقال ابن زيد الحساب الشديد الذي ليس فيه شيء من العفو والحساب اليسير
الذي تغفر ذنوبه وتقبل حسناته فتبين بهذا انه النجاة للعبد يدون العفو
الكرم والتجاوز وانه متى اقيم العدل المحض على عبد هلك وحسابين ذلك ايضا
قوله تعالى ثم لتسالن يومئذ عن النعيم فهذا يدل على ان الناس يسالون عن النعيم في الآخرة
وهل فاهوا بشكر او امن طولب بالشكر على كل نعمه من عافيه و
صحة جسم وسلامة حواس وطيب عيش واستقصى ذلك عليه لم
تف اعماله كلها بشكر بعض هذه النعم وتبقى

سائر النعم

www.alukah.net

فانه كان اشد الخلق فراغا بقلبه من الدنيا وتعلقا بالله وبالدار الاخرة مع ملابسته للخلق بظاهره وقيامه بامر النبوة وسياسة الدين والدنيا وكذلك خلفاؤه الراشدون بعده وكذلك الائمة اتباعهم في ذلك كالحسن وعمر بن عبد العزيز وغيرهما وكان في زمانهم من هو اكثر منهم صوما وصلاة ولكن لم يصل الى ما وصلت اليه قلوب هؤلاء من ارتحالها عن الدنيا ولو طبقها للاخرة فافضل الناس من سلك طريق الرسول صلى الله عليه وسلم وخواص اصحابه مع الاقتصاد في العبادة البدنية والاجتهاد في الاحوال القلبية فان سير الفرقة يقطع سير القلوب كسير البدوان جاء رجل الى بعض العارفين فقال له تخلفت الكرة فقال له ليس هذا الامر يقطع المسافات فارق نفسك لحظوظها وقد حصل المقصود كما قال ابو يزيد رايت ربي في المنام فقلت له بماذا اتقرب اليك فقال اتقرب الي بما لا تقرب به الي احد تفرغ قلبك لي وقال ما اعطيت احدا ما اعطيت هذه الامة يذكرني حيثما تقيمها صلاة الله عليه وسلم حيثما كانوا افضل الخلق وهذه الكلمة الجامعة هي ما يسأل الله العافية من دنيا ودين ووضع به من الاصار والاغلال على امته فمن اطاعه فقد اطاع الله وحسبه الله واهتدى الى الله من جملة ما حصل لامته بركته وتيسير شريعته ان من صلى منهم العشاء الآخرة فقد قام فصف الليل ومن صلى الفجر في جماعة فكما قام الليل كله فكتبت له قيام ليلة وهو نائم على فراشه لا سيما اذا نام على طهر وذكر حتى تتعلق عيناه ومن صام منهم من كل شهر ثلاثة ايام فكما صام الشهر كله فمن صام لتقدم الشهر في مضاعفة الله وتفضله في رحمته الله والطاعم الشاكر له اجر الصابر وهو من نوى ان يقوم من الليل فغلبته عيناه وقام كتب له ما نوى وتوضأ عليه صدقة قال ابو الدرداء يا بني عجبت لنوم الفاسي لكياسة وفطنة كيف سبق بها الجاهلين وصيامهم ولهذا جاء في الحديث الصحيح رب قائم حظه من قيامه السهر وصائم حظه من صيامه الجوع والعطش فمن مستغفر معفو وسائل مرجو هذا استغفر وحده بالسحر وهذا سكت وقلبه ذاكر [illegible] ليس الشأن في قوة الليل انما الشأن في نوم الليل وهو على قراءتهم يجمع وقد سبق التركيب فمن جعل سحر كالدلل على ظرف زمان جعله في الاول وجعل في الثاني قوله صلى الله عليه وسلم الغدوة والروحة وشيء من الدلجة يعني ان هذه الاوقات الثلاثة تكون اوقات السير الى الله بالطاعة وهي اخر الليل واول النهار وطرفه وقد ذكر الله هذه الاوقات في قوله تعالى واذكر اسم ربك بكرة واصيلا ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلا طويلا وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن الليل فسبحه وادبار السجود وقال تعالى طرفي النهار في مواضع كثيرة من كلامهم كقوله يا ايها الذين امنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة واصيلا وقوله يستغفرون بالاسحار وقوله يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه وقال واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه وقال ما وعى الليل اذا وعى والنهار اذا تجلى وقال وسبح بالعشي والابكار فهذه الاوقات الثلاثة منها وقتان هما اول النهار واخره يجمع في كل من هذين الوقتين عمل واجب وعمل تطوع فاما العمل الواجب فهو صلاة الصبح وصلاة العصر هما افضل الصلوات الخمس وهما البردان الذين

من حافظ عليهما دخل الجنة وقد قيل في كل منهما انها الصلاة الوسطى وسائر التطوع فوق ذكر الله بعد صلاة الصبح حتى تطلع الشمس وبعد العصر حتى تغرب وقد ورد في فضله نصوص كثيرة وكذلك وردت النصوص الكثيرة في اذكار الصباح والمسي وفي فضل من ذكر الله حتى يصبح وحتى يمسي وقد ورد في حديث يرفعه من رواية ابن آدم اذكرني في ساعة اول النهار واخره اغفر لك ما بين ذلك الا الكبائر او تتوب فيها وكان السلف يحرصون النهار اشد حرصا على المال من اولاده وقال ابن المبارك بلغنا ان الله عز وجل جعل خزائنه في ارضه ذكره فكل من ذكره في خزانة منها فقد دخل الخزانة وقد ذكرت لفظة ذكر كل يوم في الدنيا بفضل الاعمال التي [illegible] وروى بعض السلف ايا جعفر القاري في المنام فقال له قل لابي حازم يعني الاعرج ان [illegible] عند الكرسي الكبير فان الله وملائكته يتراؤنا يحلقون بالغيمات والظلمات اباحازم كان قيامك الليل وقد جاء في الحديث ان الذكر بعد الصبح يعدل اربع رقاب وبعد العصر يعدل ثمان رقاب وايضا يوم الجمعة يوم آخره افضل من اوله لما يرجى في آخره من ساعة الاجابة ويوم عرفة آخره افضل من اوله لان وقت الوقوف وكذلك آخر الليل افضل من اوله كذلك حالة السلف واستدلوا بحديث النزول الالهي وهذا كله يرجع به قوله من قال ان صلاة العصر هي الوسطى [illegible] آخر الليل والمراد به ههنا السحر هو وقت الاستغفار كما قال تعالى والمستغفرين بالاسحار وقال وبالاسحار هم يستغفرون وهو آخر اوقات النزول المتضمن لاستيفاء حوائج السائلين واستغفار المذنبين وتوبة التائبين ووسط الليل للمحبين للصلاة بحبيبهم وآخر الليل للمذنبين يستغفرون فكم بين من تخلف عن مشاركة المحبين في الحرم معهم على ذلك المضمار فلا اعمل من مشاركة المذنبين في الاستغفار وورد في بعض الآثار ان العرش يهتز من السحر قال طاوس ما كنت اظن ان احدا ينام في السحر وفي الحديث الذي خرجه الترمذي من حافظ على حزبه من الليل او عن شيء منه فقرأه فيما بين صلاة الفجر وصلاة الظهر كتب له كأنما قرأه من الليل ولهذا في الحديث الذي خرجه مسلم اذا سافرتم فعليكم بالدلجة فان الارض تطوى بالليل اصبر على مضض الادلاج في الحر وفي الرواح على الطاعات والتلوح [illegible] لا تغبن ولا تحرك مطلبها فانهم يقولون بين الناس والصبر اني رأيت وفي الايام محزنة للصبر عاقبة محمودة الاثر وقل من جد في امر تطلبه واستعصب الصعب الا فاز بالطلبة [illegible] وروى ابن المنذر دخل على علي رضي الله عنه بعد هدأة من الليل وهو قائم يصلي فقال يا امير المؤمنين صوم بالنهار وسهر بالليل وتقف فيما بين ذلك فلما فرغ من صلاته اشد هذه الابيات

سفر الخروج طويل فيه تحتاج الى قطع مسير الليل وهو الادلاج كانت امرأة محمد حبيب بن محمد توقظه بالليل وتقول له الطريق بعيد وزادنا قليل وقوافل الليل قد سارت بين يدينا ونحن قعيدا يا نائما بالليل كم ترقد قم يا حبيبي قد دنا الموعد وخذ من الليل واوقاته وردا اذا هجع الرقد من نام حتى ينقضي الليل لم يبلغ للمنزل او يجهد قوله صلى الله عليه وسلم والقصد القصد تبلغوا حث على الاقتصاد في العبادة والتوسط فيها بين الغلو والتقصير ولذا تكرر مرة بعد مرة وفي مسند البزار من حديث حنظلة مرفوعا ما احسن القصد في الغنى وما احسن القصد في العيلة وكان لمطرف بن عبد الله بن الشخير ابن قد اجتهد في العبادة

الدلوكة
www.alukah.net

فانه كان اشد الخلق قياما بقليله من الدنيا وتعلقا بالله وبالدار الاخرة مع ملابسته للخلق بظاهره
مه باعبا النبوة وسياسة الدين والدنيا وكذلك خلفاؤه الراشدون بعده وكذلك اعيان التابعين ثم ا
ن كالحسن وعمر بن عبد العزيز وقد كان في زمانهم من هو اكثر منهم صوما وصلاة ولكن لم يصل تا
وصلت اليه طلوب هؤلاء من ارتحالهم عن الدنيا وتوطينها للاخرة فافضل الناس من سلكها
صلى الله عليه وسلم وخواص اصحابه زهدا واقتصادا في العبادة البدنية والاجتهاد في الاحوال
فان سفر الهرة يقطع بسير القلوب لا بسير البدان جاء رجل الى بعض العارفين فقال له قطعت الدنيا
فقال له ليس هذا الامر بقطع المسافات فارفق نفسك بطوة وقد حصل لك مقصودك قال
ابو يزيد رايت ربي عز وجل في المنام فقلت له يا رب كيف الطريق اليك قال اترك نفسك وتعال
ما اعطيت هذه الامة بركة صيامها وقيامها صلى الله عليه وسلم حتى كان افضل الخلق وهذه الحكاية
ما يسد الجائع من دينار ووضع به من الاصار والاغلال عن امته لمن اطاعه فصام واطاع
الله واهتدى الحديث من جملة ما حصل لامته ببركته وتيسير شريعته ان من صلى منهم العشاء
فانما قام نصف الليل ومن صلى الفجر في جماعة فكانما قام الليل كله فيكتب له قيام ليلة وهو نائم على
فراشه لسيما ان نام على طهر وذكر حتى تغلبه عيناه وما صام منهم من كل شهر ثلاثة ايام فكانما صام
الشهر كله فهو صائم لنفسه الشهر في مضاعفة الله ومفطر له في رخصة الله والطاعم الشاكر له
في الصابر ومن نوى ان يقوم من الليل فغلبته عيناه فنام كتب له ما نوى وتوجه عليه صدقة قال
ابو الدرداء يا جعدا نوم الناس لا كياس وفطرهم كيف سبق بحا الجاهلين وصيامهم ولهذا جاء في
الحديث العبد ربما نام حظه من قيامه السهر وصام حظه من صيامه الجوع والعطش
محفوظ وساكتهم مرحوم هذا استغفر وقلبه ظاهر وهذا سكت وقلبه ذاكر
الليل انما الشأن في تمام الليل وهو على قراءته بكمله وقد سبق الركب من يمثل سلوكه الدليل
جد ويجتهد في الاول فوصى صلى الله عليه وسلم الغدو او روحوا وشيء من الدلجة كقوله في الرواية الاخرى
استعينوا في بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة يعني ان هذه الاوقات الثلاثة تكون اوقات السير
بالطاعة وهي اخر الليل واول النهار وغرته وقد ذكر الله هذه الاوقات في قوله تعالى واذكر اسم ربك بكرة
من الليل فسبحه ليلا طويلا وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن الليل فسبحه واطراف النهار لعلك
ضى وقال سبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب ومن الليل فسبحه وادبار السجود
النهار في مواضع كثيرة من كتابهم كقوله يا ايها الذين امنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة واصيلا وقوله
استغفر لذنبك وسبح بحمد ربك بالعشي والابكار وفي ذكر زكريا عليه السلام وقال واذكر ربك كثيرا وسبح
ربك بالعشاء والعشي يريدون وجهه وقال واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة و
يريدون وجهه وقال تسبحوا له بكرة واصيلا وقال وسبح بالعشي والابكار فهذه الاوقات
الثلاثة منها وقتان وهما اول النهار واخره يجمع في كل من هذين الوقتين عمل واجب وعمل
فاما العمل الواجب فهو صلاة الصبح وصلاة العصر وهما افضل الصلوات الخمس وهما البردان

وقد عليهما دخل الجنة وقد قيل في كل منهما انها الصلاة الوسطى وهو العمل المتطوع فهو ذكر الله
صلاة الصبح حتى تطلع الشمس وبعد العصر حتى تغرب وقد ورد في فضله نصوص كثيرة وكذلك
ت العصر من الكثيرة في اذكار الصباح والمسي وفي فضل من ذكر الله حتى يصح وحتى يمسي وقد ورد
ب بالذكر من حين يصبح ابن آدم اذكر في ساعة او آخر النهار وساعة من آخره اغفر لك ما بين ذلك الا كبا
ركت فيه وذكر كلاما ابو الجلد يبلغ به النبي صلى الله عليه وسلم ان الشارك يلقنا انه من حين
وكان السلف لبعد النهار اشد تعظيما من اوله وقال ابن المبارك كل يوم الى الدنيا ينقل الى اعمالنا
بعض السلف ابا جعفر القاري في المنام فقال له فعل بي جاري يعني الاعرج الزا
الكسي فعل الله به وملائكته يدعون عليه بالعشات والظلمات ابا حازم كان يقص اخر
وقد جاء في الحديث ان الذكر بعد الصبح لعب من ثلاثة ربع ركعة وبعد العصر اجب من ثمان ركعات وبيضا
اخره افضل من اوله لما يرجى في اخره من ساعة الاجابة ويوم عرفة اخره افضل من اوله لان وقت الو
ذكر اخر الليل افضل من اوله كذلك قال السلف واستدلوا بحديث النزول الالهي وهذا الظ
قول من قال ان صلاة العصر هي الوسطى
المراد به ههنا العمل في اخر الليل والمراد به هو وقت الاستغفار كما قال تعالى والمستغفرين
بالاسحار وقال وبالاسحار هم يستغفرون وهو اخر اوقات النزول المتضمن لاستجابة حوائج السائلين
استغفار الذنبين وتوبة التائبين وسط الليل لمحو من الظلمة بجيبه واخر الليل لمن بان
الوتر هو من تحرى مشاركة الحبيب في الحرز فمهما قدر على ذلك الحرز فلا اقل من مشاركته
في الاعتذار وورد في بعض الآثار ان العرش يهتز من السحر قال طاوس ما كنت اظن ان
يام في السحر وفي الحديث الذي خرجه الترمذي من خاف ادلج ومن ادلج بلغ المنزل سير الد
الليل يقطع بدسع الرحال والعزة ولهذا في الحديث الذي خرجه لما اذا سافر فعليكم با
تقطعون بالليل اصبر على مضض الادلاج في الحر وفي الروح على الطاعات
تقبحون ولا تحسرون مطلبها غالية تطلبون الجنة والعجز الى رايت وفي الهاجرة
للصبر عاقبة محمودة الاثر وقل من جد في امر طلبه واستعصب الصبر الا فاز با
ويمدان النهار وصل على رضي الله عنه بعد هذا من الليل وهو قائم يصلي فقال
صوم بالنهار وسهر بالليل وتعب فيما بين ذلك فلما فرغ من صلاته اشد هذا
سفر الاخرة طويل فيحتاج الى قطع سير الليل وهو الادلاج كانت امراة محمد بن
بالليل وتقول له الطريق بعيد وزاد قليل وقوافل الليل قد سارت بين يديها وانت
يا نايما ليل كم ترقد قوم يا حبيبي قد دنا الموعد وخذ من الليل واوقاته وردا
الجمع الرقدة من نام حتى ينقضي ليله لم يبلغ المنزل ويحمد قوله صلى الله عليه وسلم والقصد
بلغوا حث على الاقتصاد في العبادة والتوسط فيها بين الغلو والتقصير ولذا
مره بعد مره وفي مسند البزار من حديث حذيفة مرفوعا ما احسن القصد في القصد
احسن القصد في العبادة وكان لمطرف بن عبد الله بن الشخير ابن قد اجتهد في العبادة

الألوكة
www.alukah.net

فقال له ابو حنيفة الامور اوسطها الحسنة بين السيئتين وشر السير الحقحقة قال ابو عبيد يعني ان الغلو
في العبادة سنة والتقصير سيئة والاقتصاد بينهما حسنة قال والحقحقة ان يحمل في شدة السير حتى
تعقر ما عليه راحلته وتعطب فيبقى منقطعا به انتهى ويشهد لهذا المعنى الحديث المروي عن محمد
ابن عجلان مرفوعا ان هذا الدين متين فاوغل فيه برفق ولا تبغض الى نفسك عبادة الله فان
المنبت لا ارضا قطع ولا ظهرا ابقى فاعمل عمل امرئ يظن انه لا يموت الا هرما واحذر حذرا من يخشى ان يموت
غدا اخرجه حميد بن زنجويه وغيره وفي تكريره بالقصد اشارة الى المداومة عليه فان شدة
السير والاجتهاد مظنة السامة والانقطاع والقصد اوب الى الدلجة ولهذا جعل عاقبة القصد
البلوغ كما قال لمن ادلج بلغ المنزل فالمؤمن في الدنيا يسير الى ربه حتى يلقاه كما قال تعالى يا ايها
الانسان انك كادح الى ربك كدحا فملاقيه وقال تعالى واعبد ربك حتى ياتيك اليقين قال
الحسن يا قوم للمداومة المداومة فان الله لم يجعل لعمل المؤمن حدا دون الموت ثم تلا هذه الآية
وقال ايضا تقربوا مطايا كم فاصلحوا مطاياكم تبلغكم الى ربكم عز وجل والمراد باصلاح المطايا
الرفق بها ومشاهدتها عايصلحها من وقتها والوقف بها في سيرها فاذا احتيج منها بتوفيق
في السير شاهدها تارة بالتشويق وتارة بالتخويف حتى قيل قال بعض السلف الرجاء
يدعو الخوف فسايق والنفس بينهما كالدابة الحرون متى عنفت قايدها او قصر سايقها وقفت فاحتاج
الى الرفق بها وان حدا لها حاد يطيب لها السير كما حادى الهوادج بل بالحداء شمر الليل
وما لا عذار لي في الطلح والجمال والمكان الخوف كالسوط فحق الحر بالعزم بالسوط على
الدوام تلفت فلا بد لصاحب الضرب من حادي الرجا يطيب لها السير بحدايه حتى يقطع قال ابو
يزيد مازلت اصوق نفسي الى الله وهي تبكي حتى سقتها وهي تضحك كما قيل اذا شئت من كلا
ل السير اوعدها ورح القلوب فيحيى عند ميعاد قال خلف العصري ان كل حبيب يحب ان يلقى
حبيبه فاحبوا ربكم وسيروا اليه سيرا جميلا لا مصعدا ولا ممعيا فغاية السير يوصل المؤمن الى ربه
به ومن لا يعرف الطريق الا ربما يسلك اليه على الثور والبهيمة سواء قال ذو النون السفلة من لا يعرف الطريق
الى الله والعلة من يعرفه ثم يسلكه والسالك من سلك صراط المستقيم الذي بعث الله به رسله وانزل به كتبه و
امر الخلق كلهم بسلوكه والسير فيه قال ابن مسعود الصراط المستقيم تركنا محمد صلى الله عليه وسلم اداناه و
طرفه وعن يمينه جواد وعن شماله جواد وثم رجال يدعون من مر بهم فمن اخذ في تلك الجواد انتهت
به الى النار ومن اخذ على الصراط المستقيم انتهى به الى الجنة ثم قرا وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه
ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبله خرجه بنحو برد وغيره فالطريق الموصل الى الله واحد وهو
صراطه المستقيم وبقية السبل كلها سبل الشيطان من سلكها قطعت به عن الله او صيرته الى دار سخط
وغضبه وعقابه وربما هلك الانسان في اول امره على الصراط المستقيم ثم يخرج في آخر عمره فيسلك بعض
سبل الشيطان فينقطع عن الله ويهلك وان احدا لا يعمل بعمل اهل الجنة حتى لا يكون بينه وبينها الا
ذراع او باع فيسبق عمل اهل النار فيدخل النار وربما سلك الرجل اولا بعض سبل الشيطان ثم تدركه
السعادة فيسلك الصراط المستقيم آخر عمره فيصل به الى الله والناس كلهم الناس في الاستقامة

على الصراط المستقيم من اول السير الى آخره ذلك افضل اصنافهم موتا واشدهم الى دار السلام يدعو الى دار السلام ويهدي من يشاء
الى صراط مستقيم ما اكثر من يرجع الى الطريق ويقطع فان القلوب بيد الله تقلبها اصبعان من اصابع الله الذي
سواء لتعلق الاثابة خليلي قطاع الفيافي الى الله كثير ولما ان وصلوا قليل في الحديث
الصحيح الله يقول الله عز وجل من تقرب مني شبرا تقربت منه ذراعا ومن تقرب مني ذراعا تقربت منه باعا ومن اتاني يمشي اتيته هرولة وفي المسند زيادة والله اعلم اجل والله اعلى اجل وفيه ايضا يقول الله تعالى
جل وعلا يا ابن آدم انا اقبل اليك واسرع الي لهرول الكل من اصل الينا تلقيناه من بعد من ذراعا
ومن اتانا يهرول سالنا اعطيناه فوق المزيد من عمل بقوتنا الينا له الحديد يا هذا لو قصد
ت بعضا بابا الى الله طرقت الباب قبل الكل ولا تتمادى ربما تجد عن الوصول اليه واوصاكم وملك الملوك
يقول من اتاني يمشي اتيته هرولة وانت عندي وعلى غير امثل لقد بخلت اخشى وحشرت الكر
الخراج والله ما جيتكم زايرا الا وجدت الارض تطوى لي طيا ولا شئت العزم على باب الا تفتحت
بلوغا الى بابه بمعنى المريدين وتوضيح الطريق فما هذا الخلق عن السلوك والتشويق لقد وضح الطريق
لكل حتى ما خلق الا ذكر يستدل اني العرصة الكبرى فاطر السموات الارض يدعوكم ليغفر لكم
من ذنوبكم يا قوم اجيبوا داعي الله يا نفسي ويحك قد اتاك هذا الذي ناجيتي فحدا داعي الله زادك
الله قد دعيتني الى الرشاد فمن يجيب داعي الله فاجيبي داعي الله يغفر لك ذنوبك
في الدنيا والثاني في الاخرة فالمحب الصادق المريد يعلم ان القلب تحمل الى من تحبه فاذا قرا
منه استدل به فوجده منها قريبا ولها محبا كما في بعض الاثار اطلبني تجدني فاذا وجدتني وجدتك
بعدتا كل شيء واذا فقدتك فقدت كل شيء بمزيد للرسوم فما لا يجيب وقاطنا فاطلبونا تجدونا
في قلوب وقد تسعنا صايرات راضيات ما الذي بعدنا عنا كما قال ذو النون يخرج بالليل يريد
هذه الديار ويرد نظره في السما حتى يصبح اطلبوا الانبيا حتما وجدتمونا قد وجدتمونا كنا
ليس فيها غيرنا ومن بعدنا قد بعدت قربنا او قربت منه دنا وصل الاخرى فالدخول الى الجنة
التي هي دار كرامة الله واوليائه ولكنهم في درجاتهم متفاوتون في القرب بحسب تفاوتهم في الايمان
في القرب والمشاهدة قال تعالى لكم فيها ما تشتهي انفسكم واحاديث الانبيا فاصحاب اليمين تام اصحاب اليمين واصحاب
ما اصحاب اليمين والسابقون السابقون اولئك المقربون كان السلف يحبون ان يعلموا ويعلموا
لا يشبع من عادة لوز وابقوا عليها جميلا من يتمم الحب فان الله يتم العين عند بصيرة القلب
الصراط المستقيم في الدنيا عالمات درجات درجة الاسلام ودرجة الايمان ودر
جة الاحسان فمن سلك درجة الاسلام الذي بعث عليها منعته من الخلود في النار وان كان له
ما دخول الجنة وان احصابه فوق ذلك ما اصابه ومن سلك على درجة الايمان الذي بعث عليها
منعته من دخول النار بالكلية فان نور الايمان يطفي لهب نار جهنم حتى تقول يا مؤمن فقد
اطفا نورك لهبي وفي المسند عن جابر مرفوعا لا يمر على برد ولا حر اصلا فكان على المحبوب
وسلاما كما كانت على ابراهيم حتى مر على النار وصححها من برد هذا ميوات ورد المحبوب
على ابراهيم عليه السلام فمن فواد المحب نار هوى المحبوب برد ها ومن سلك

www.alukah.net

على درجة الاحسان لان يموت عليها وصل بعد الموت الى الله للذين احسنوا الحسنى وزيادة في الحديث الصحيح
اذا دخل اهل الجنة الجنة نادى مناد يا اهل الجنة ان لكم عند الله موعدا يريد ان ينجزكموه فيقولون ما
هو الم يبيض وجوهنا الم يثقل موازيننا الم يدخلنا الجنة وينجنا من النار فيكشف الحجاب فينظرون
اليه فوالله ما اعطاهم الله شيئا احب اليهم ولا اقر لاعينهم من النظر اليه وهي الزيادة ثم تلا للذين
احسنوا الحسنى وزيادة كل اهل الجنة يشتركون في الرؤية ولكن يتفاوتون في حال الرؤية وتفاوت
الرؤية عموم اهل الجنة يرون يوم المزيد وهو يوم الجمعة وخواصهم ينظرون الى وجه الله كل يوم بكرة
وعشيا عموم اهل الجنة لهم رزقهم فيها بكرة وعشيا وخواصهم يرون الله بكرة وعشيا العارفون
لا يلهيهم عن محبوبهم نعيم ولا يرديهم دونه نعيم كان بعضهم يقول اذا جعت فذكره زادي واذا
عطشت فمشاهدته ريي وسولي ومرادي رؤي بعض الصالحين في المنام بعد موته فسئل عن حال رجلين
من العلماء فقال تركتهما الان بين يدي الله عز وجل ياكلان ويشربان ويتنعمان قيل له فانت
قال علم قلة رغبتي في الطعام فاباحني النظر اليه انت زادي اذا ظمئت الى الماء وقوتي اذا اردت الطعاما
وفي المسند عن ابن عمر مرفوعا ان ادنى اهل الجنة منزلة لينظر في ملكه الفي سنة يرى اقصاه كما يرى ادناه
ينظر الى ازواجه وخدمه وان افضلهم منزلة لينظر الى وجه الله تبارك وتعالى كل يوم مرتين
وخرجه الترمذي ولفظه ان ادنى اهل الجنة منزلة لمن ينظر الى جنانه وازواجه ونعيمه وخدمه و
سرره مسيرة الف سنة واكرمهم على الله من ينظر الى وجهه غدوة وعشيا ثم قرا رسول الله صلى الله عليه
وسلم وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة ولهذا المعنى لما قال صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح
حديث جرير بن عبد الله البجلي انكم سترون ربكم يوم القيامة كما ترون القمر ليلة البدر لا تضامون في
رؤيته فان استطعتم ان لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا ثم
قرا فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب لما كان هذان الوقتان في الجنة وقتان للرؤية
في حق خواص اهل الجنة حض صلى الله عليه وسلم على المحافظة على الصلاة في هذين الوقتين في الدنيا
فمن حافظ عليها تلك الصلاتين في الدنيا في هذين الوقتين وصلاها على اكمل وجوه
ها وخشوعها وحضورها وادابها فانه يرجى له ان يكون ممن يرى الله في هذين الوقتين في الجنة
لا سيما ان حافظ بعدهما على الذكر وانواع العبادات حتى تطلع الشمس او تغرب فان وصل العبد
ذلك بذكر اجزاء الليل فقد اجتمع له الحضور في الاوقات الثلاثة وهي الدلجة والغدوة والروحة
فيوشك ان يعقبه الصدق في هذا السير الوصول الاعظم الى ما يطلبه من مقعد صدق عند
مليك مقتدر من لزم الصدق في طلبه اداه الصدق الى مقعد الصدق وبشر الذين امنوا ان لهم
قدم صدق عند ربهم المحب لا يقطع السؤال عمن يحب ويتحسس الاخبار ويتنسم الرياح
لعل الاخبار [illegible] الطريق الى المحبوب [illegible] عنها فهل من مخبر [illegible] بعد
فلو كنت ادري اين خيم اهلها واي بلاد الله اذ ظعنوا اموا اذا لسلكنا مسلك الريح
خلفها ولو اصبحت نعم ومن دونها النجم لقد ذكرت [illegible]
ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ما المحب سوى ان [illegible]

بكل [illegible] نعمة كل امرئ ما يطلب فمن كان يطلب الله فلا قيمة له من طلب الله فهو اجل من ان تقوم
ومن طلب غيره فهو اخس من ان يكون له قيمة قال الشبلي من ركن الى الدنيا احرقته نارها
فصار رمادا تذروه الرياح ومن ركن الى الاخرة احرقته بنورها فصار سبيكة ذهب ينتفع به ومن
ركن الى الله احرقه نور التوحيد فصار جوهرا لا قيمة له لهمم [illegible] منتهى لكبارها وهمة العبد
واجل من ان تحوى سئل الشبلي هل يقنع المحب بشيء من حبيبه دون مشاهدته فانشد والله لو انك
توجتني بتاج كسرى ملك المشرق ولو باموال الورى جدت لي اموال من باد ومن قد بقي وقلت لي
لا نلتقي ساعة اخترت يا مولاي ان نلتقي من كبرت همته لم يرض بطلب شيء سوى الله كم عذولي و
روحي في مسائي وصباحي وكذا ذكرك روحي ثم ريحاني وراحي انت سولي ونجيبي ومن
ذي افتتاحي يا عنائي وملاذي ورشادي وصلاحي فصل في قوله تعالى وبدا لهم من الله
ما لم يكونوا يحتسبون هذه الاية كانت تشتد على الخائفين من العارفين فانها تقتضي ان من العباد
من يبدو له عند لقاء الله ما لم يكن يحتسب ان يكون غافلا عما بين يديه معرضا عنه [illegible]
له فاذا كشف الغطاء عاين تلك الاهوال الفظيعة عند الله ما لم يكن في حسابه ولهذا قال عمر رضي الله
عنه لو ان لي ملء الارض لافتديت به من هول المطلع وفي الحديث لا تمنوا الموت فان هول المطلع شديد
ان من سعادة العبد ان يطول عمره ويرزقه الله الانابة قال بعض حكماء السلف كم من موقف
خزي يوم القيامة لم يخطر على بالك قط ونظير هذا قوله تعالى لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا
عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد ويشمل ما هو اعم من ذلك وهو ان يكون له اعمال يرجو بها الخير
فيصيرها هباء منثورا او تبدل سيئات وقد قال تعالى والذين كفروا اعمالهم كسراب بقيعة الاية وقال
وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا قال الفضيل في هذه الاية وبدا لهم من الله
ما لم يكونوا يحتسبون قال عملوا اعمالا وحسبوها حسنات فاذا هي سيئات وقريب من هذا ان
يعمل الانسان ذنبا يحتقره ويستهون به فيكون هو سبب هلاكه كما قال تعالى وتحسبونه هينا
وهو عند الله عظيم وقال بعض الصحابة انكم تعملون اعمالا هي ادق في اعينكم من الشعر كنا نعدها
على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الموبقات واصعب من هذا من زين له سوء عمله فرآه
حسنا قال الله تعالى قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون
انهم يحسنون صنعا وقال ابن عيينة لما حضرت محمد بن المنكدر الوفاة جزع فدعوا له ابا حازم
فجاء فقال له ابن المنكدر ان الله يقول وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون فاخاف ان يبدو لي من الله ما لم
اكن احتسب فجعلا يبكيان جميعا خرجه ابن ابي حاتم وزاد ابن ابي الدنيا فقال له اهله دعوناك
لتهون عليه فزدته فاخبرهم بما قال الفضيل لحضرت عن سليمان التيمي انه قيل له انت و
من مثلك قال مه لا تقولوا هذا لا ادري ما يبدو لي من الله سمعت الله يقول وبدا لهم
من الله ما لم يكونوا يحتسبون وكان سفيان الثوري يقول عند هذه الاية ويل لاهل الرياء ويل لهم هذه
الاية وهذا كما في حديث الثلاثة الذين هم اول من تسعر بهم النار العالم والمتصدق والمجاهد
هذا وكذلك من عمل اعمالا صالحة وكانت عليه مظالم فهو يظن [illegible]

www.alukah.net